مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

ما الذي يغيب عن نقاش الحرب على إيران

أ.د صالح بن محمد الخثلان

مستشار أول مركز الخليج للأبحاث

تنشغل المناقشات الراهنة للحرب الأمريكية–الإسرائيلية على إيران بأسئلة متكررة: هل ستحقق الحرب أهدافها؟ هل ستتسبب في تغيير النظام في إيران؟ هل اندفعت الولايات المتحدة إلى الحرب تحت ضغط إسرائيلي؟ هل أصبحت إيران قادرة على التحكم في مسار الصراع؟ وهل تتجه المواجهة إلى حرب استنزاف طويلة؟ كما يُطرح سؤال آخر يتعلق بتأثير الحرب على السياسة الداخلية الأمريكية، خصوصاً على شعبية ترامب وربما على انتخابات الكونجرس النصفية. وتتكرر هذه الأسئلة في النقاشات الدائرة في وسائل الإعلام في المنطقة وفي الولايات المتحدة، وغالباً

ما حجم الدمار الفعلي الذي خلفته الحرب حتى الآن

ما تُطرح في سياق يوحي بأن الولايات المتحدة وإسرائيل قد لا تنجحان في تحقيق أهدافهما، أو أن الحرب خرجت عن سيطرتهما.
وما يهمنا هنا هو ما يُتداول في وسائل الإعلام العربية، لأن كثيراً منه يوحي بطرح رغبوي لا قراءة موضوعية؛ فتركيز النقاشات في القنوات الفضائية على هذه المسائل يجعلها تتجاوز سؤالاً أكثر مباشرة وأهمية يتعلق بحجم الدمار الفعلي الذي خلفته هذه الحرب حتى الآن؟

حجم التدمير مسألة يجب عدم تجاوزها أو التقليل منها، لكونها المتغير الثابت في الحرب، في حين أن كافة المسائل الأخرى تبقى محل نظر.

ورغم كثافة التغطية الإخبارية وتواصلها، لا تتوافر صورة كاملة عن حجم هذا الدمار؛ إذ لا توجد تقديرات شاملة لما أصاب إيران من تدمير في بنيتها العسكرية أو المدنية، ولا لحجم الأضرار التي لحقت بإسرائيل أو بالمواقع الأمريكية في المنطقة. وما يصل إلى الرأي العام لا يتجاوز أخبار وتقارير متفرقة: انفجار في موقع ما، أو ضربة في منشأة أخرى، أو صوراً محدودة لمبان متضررة. لا شك أن هذه الشواهد مهمة، لكنها لا تكفي لتكوين تصور شامل عن حجم الخسائر.

ويزداد الغموض بسبب تضارب الروايات؛ إذ تحدثت إيران عن مقتل مئات الجنود الأمريكيين وعن استهداف حاملة الطائرات أبراهام لينكولن. وفي المقابل، تنفي الولايات المتحدة هذه الادعاءات، في حين تؤكد إسرائيل أن ضرباتها ألحقت أضراراً كبيرة بالبنية العسكرية الإيرانية. وبين هذه الروايات يصعب على المتابع الوصول إلى تقدير دقيق للخسائر.

في ظل هذا الغموض يمكن الاستعانة بمؤشر آخر لفهم حجم الدمار، وهو طبيعة الأسلحة المستخدمة وقدراتها التدميرية. فالتقنية العسكرية ونوع الذخائر المستخدمة لابد أن تعطي فكرة أولية عن حجم الدمار.

هذا المؤشر يكشف اختلاف كبير بين أدوات الحرب لدى الطرفين؛ فالولايات المتحدة وإسرائيل تمتلكان منظومة هجومية متقدمة تشمل طائرات شبحية وقاذفات استراتيجية مثل B-2، إضافة إلى ذخائر خارقة للتحصينات قد يصل وزن بعضها إلى نحو ٣٠ ألف رطل. كما تستخدم صواريخ كروز بعيدة المدى مثل توماهوك التي يمكن إطلاقها من السفن والغواصات لضرب أهداف على

مسافة تقارب ١٦٠٠ كيلومتر، وقنابل دقيقة التوجيه مثل JDAM التي يمكن أن يصل وزنها إلى نحو ٩٠٠ كيلوغرام. هذه الأدوات تمنح الولايات المتحدة وإسرائيل قدرة على تنفيذ ضربات دقيقة ضد أهداف محصنة ومعقدة. وإضافة إلى ذلك، تشير التقارير إلى توظيف القوات الأمريكية والإسرائيلية قدرات إلكترونية واستخباراتية متقدمة، تشمل الاستطلاع الفضائي والحرب الإلكترونية، لتعطيل شبكات القيادة والرادارات وأنظمة الاتصالات الإيرانية، بما يسهم في تحسين دقة الاستهداف وإضعاف منظومات الدفاع الجوي.

في المقابل تعتمد إيران بدرجة أكبر على الصواريخ الباليستية لضرب أهداف بعيدة بسرعة عالية، وعلى صواريخ كروز، إلى جانب الطائرات المسيّرة التي تُستخدم في موجات متتابعة لإرباك أنظمة الدفاع واستنزافها قبل أو بالتزامن مع إطلاق الصواريخ.

من هذه المقارنة يتضح الفارق النوعي والكمي في الأسلحة المستخدمة، وبناءً عليه يمكن افتراض أن حجم الدمار الذي لحق بالمنشآت العسكرية والحيوية والمدنية الإيرانية كان كبيراً جداً. غير أن هذه المسألة تكاد تغيب عن النقاش العام وسط سباق المعلقين لإثارة أسئلة من نوع: ماذا حققت الحرب؟ وهل تواجه الولايات المتحدة وإسرائيل صعوبات في إدارتها أو إنهائها؟ وغالباً ما تُطرح هذه الأسئلة بلغة توحي بأن إيران نجحت في كشف ضعف خصومها، أو أن واشنطن وتل أبيب دخلتا الحرب بلا استراتيجية واضحة، وبالتالي ستجدان صعوبة في إنهائها أو ستنهيانها دون تحقيق أهدافهما.

لا شك أن هذه تساؤلات وافتراضات مشروعة، بل من الضروري أن تكون جزءاً من النقاش. لكن موضع الاعتراض، إن صحّ القول، هو أن كثيراً منها يُطرح بمعزل عن سؤال بالغ الأهمية ويتعلق بحجم التدمير الذي أحدثته الحرب حتى الآن؛ لأن تقدير مسار الحرب ونتائجها لا يستقيم دون مناقشة كلفتها. وهنا نلاحظ، وبعد اليوم الخامس للحرب بدء حديث عن الكلفة المالية للحرب على الولايات المتحدة وتأثير ذلك المحتمل على إدارة الرئيس ترامب، مع تجاهل الحديث عن الكلفة البشرية والمادية الهائلة التي لحقت بإيران.

الحروب لا تُقاس فقط بقدرة الأطراف على الاستمرار في القتال؛ بل بحجم الخسائر البشرية وما لحق بالمنشآت العسكرية والبنية التحتية من تدمير. فالحرب تترك آثارها في المدن والمنشآت والبنية التحتية، وتفرض على الدول تكاليف كبيرة لإعادة البناء. كما تؤثر في حياة المواطنين الذين يفقدون أقاربهم أو منازلهم أو مصادر رزقهم. هذه الجوانب للأسف كثيراً ما تحظى باهتمام أقل مقارنة بالحديث الموسع عن مسار الحرب.

> **في ظل هذا الغموض يمكن الاستعانة بمؤشر آخر لفهم حجم الدمار، وهو طبيعة الأسلحة المستخدمة وقدراتها التدميرية**

ومن متابعة التغطية الإعلامية العربية يبرز تركيز على سردية الصمود أو القدرة على التصدّي، ويُقدَّم هذا الخطاب أحياناً بوصفه دليلاً على نجاح إيران في مواجهة الهجمات الأمريكية والإسرائيلية. ولا يقتصر هذا المنحى على وسائل إعلام محسوبة مباشرة على إيران، بل يظهر أيضاً بدرجات

متفاوتة في وسائل إعلام عربيةٍ ذات حضور واسع. ونتيجة لذلك يتراجع الاهتمام بالسؤال الأساسي: ما حجم الخسائر الفعلية التي تكبدتها إيران نتيجة هذه الضربات؟

ولتعزيز هذه السردية، يُلاحظ الحرص على تتبّع أي مؤشرات، مهما كانت صغيرة، مثل تصريح عضوٍ في الكونغرس الأمريكي، أو مقال في صحيفة غربية، أو مظاهرة محدودة، أو خلاف داخل الإدارة الأمريكية. وفي بعض الأحيان تُقدَّم هذه المؤشرات بوصفها دليلاً على أن إيران تفرض إيقاع الحرب، أو أنها قادرة على التأثير في شروط إنهائها.

وهنا تبرز مفارقة مهمة؛ ففي المناقشات العربية عن

> **التقييم الموضوعي للحروب يقتضي تحليل مجمل الكلفة التي تفرضها الحرب على الدول والمجتمعات**

التأثيرات الداخلية للحرب في الولايات المتحدة، يجري التعويل ضمناً على طبيعة النظام الديمقراطي، الذي يسمح بقدر كبير من الجدل حول مشروعية الحرب، وتتبين دلالة هذه المفارقة عند مقارنة ذلك بالوضع داخل إيران؛ فحتى مع اتساع وكثافة التدمير، لا يُتوقع ظهور أصوات علنية مؤثرة تطالب بوقف الحرب بالقدر نفسه، بحكم طبيعة النظام السياسي.

وهذا الأسلوب في مناقشة الحرب ليس جديداً في المنطقة؛ فقد ظهر خلال حرب تحرير الكويت عام ١٩٩١، عندما انشغلت قطاعات من الإعلام العربي بالحديث عن صواريخ سكود التي أطلقها العراق على إسرائيل والمملكة. آنذاك جرى تصوير هذه الضربات وكأنها تغيّر مسار الحرب، رغم أن نهاية الحرب كانت مختلفة تماماً ومأساوية للعراق بكل المقاييس.

كما تتجاهل هذه المناقشات جوانب أخرى من الخسائر التي ستلحق بإيران. فإلى جانب التدمير الذي أصاب منشآتها والخسائر في القيادات العسكرية والسياسية، هناك كلفة أخرى لا تجد الاهتمام الكافي، وهي تأثير الحرب على علاقات إيران الإقليمية، خصوصاً مع دول الخليج، وربما أذربيجان. فاستهداف مواقع داخل هذه الدول، ورغم تبريره بأنه موجّه لقواعد عسكرية ومصالح أمريكية، قد أصاب منشآت مدنية؛ منشآت نفطية ومطارات وفنادق ومبان سكنية. ومن المؤكد أن تدفع هذه الاعتداءات دول الخليج إلى إعادة تقييم علاقاتها مع إيران، وحتى إذا استمرت العلاقات الدبلوماسية، فمن المتوقع أن تبقى في حدها الأدنى لسنوات، دون أي اتصال أو تعاون في أي من المجالات الأخرى.

ولا شك أن ذلك يمثل خسارة استراتيجية لإيران؛ فالتقارب الذي تحقق في السنوات الأخيرة مع دول الخليج، ولا سيما مع المملكة العربية السعودية، وفر لإيران مكاسب دبلوماسية واقتصادية مهمة في ظل العقوبات الغربية. ومن ثم فإن استهداف هذه الدول يضعف هذه المكاسب، ويكشف عن إشكالية في حسابات القيادات الإيرانية التي تدير الحرب.

إن تجاهل المناقشات في وسائل الإعلام لهذه الجوانب والتركيز فقط على مؤشرات الصمود أو التوازن في المواجهة يؤدي إلى قراءة ناقصة للحرب؛ فالتقييم الموضوعي للحروب يقتضي تحليل مجمل الكلفة التي تفرضها الحرب.

ختاماً، ربما تنتهي هذه الحرب من دون أن تفضي إلى تغيير في النظام الإيراني، لكن هذه النتيجة بحد ذاتها لا تحمل دلالة حاسمة. فالقضية الأهم ليست بقاء النظام أو عدم بقائه، بل حجم الخسائر التي أفرزتها الحرب، ومستوى الإنهاك الذي أصاب الدولة والمجتمع، وطبيعة الأعباء السياسية والاقتصادية والإنسانية التي ستظل إيران تتحمل آثارها في المرحلة اللاحقة.

ونحن هنا لا نتحدث عن المسؤولية عن اندلاع الحرب، فهي واضحة، وتتحملها الولايات المتحدة وإسرائيل اللتان شنتا العدوان من دون مبرر، بل نلفت إلى أهمية مقاربة الحرب مقاربة موضوعية قائمة على تقدير الوقائع والنتائج كما هي، وليس كما نتمنى.

Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

Gulf Research Center Jeddah (Main office)

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Foundation Geneva

Avenue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
Email: info@grc.net

Gulf Research Centre Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center Foundation Brussels

Avenue de
Cortenbergh 89
4th floor, 1000
Brussels
Belgium

www.grc.net